المدخل إلى العهد القديم

(الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل



دار الثقافة

طبعة ثانية

الكتاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

ملاخي

يعد سفر ملاخي آخر أسفار الكتب المقدسة حسب ترتيب الترجمة السبعينية. وذهب بعض العلماء إلى أن ملاخي لا يعد اسماً بل وظيفة بمعنى ملاكي (قارن ٣ :١) أو رسولي. وورد في ترجوم يوناثان بن عزئيل "Targum of Jonathan Ben Uzziel هذه الإضافة إلى (١ :١) «وحي كلمة الرب لإسرائيل عن يد ملاخي الذي هو عزرا الكاتب». وقد رُفِضَ هذا الرأي من غالبية علماء الكتاب إذ لم يلقب عزرا بنبي بل لقب بالكاتب وملاخي لم يكن كاتباً بل نبياً.

والاعتقاد السائد بين الباحثين أن ملاخي هو الاسم الأصيل والكاتب لهذا السفر معلناً قرب مجيء الرسول الأعظم الكلمة المتجسد في العهد الجديد.

أقسام ومشتملات السفر

في الأصحاح الأول والثاني يصف النبي ملاخي خطايا وعناد إسرائيل.

والأصحاح الثالث والرابع يشير إلى الدينونة التي ستحل بالخاطئ الشرير والبركة لمن يرجع عن شروره.

أولاً : مقدمة (١: ١).

ثانياً : محبة الله الواضحة في اختياره ليعقوب (إسرائيل) وتركه لأدوم (عيسو)(١: ٢-٥).

ثالثاً: إهمال الكهنة واجباتهم الدينية ولذلك تعثر الشعب بعباداتهم المرفوضة (١: ٦-٢ :٩).

رابعاً : اختلاط الشعب في زواجهم بالشعوب الأخرى وحدوث الطلاق الذي هو مكرهة أمام الرب (٢: ١٠-١٧).

خامساً:

١- تساؤل : أين إله العدل (٢: ١٧ج).

٢- الرب: ملاك العهد هو يطهر الكهنة ويحاكم السحرة والفاسقين والحالفين زوراً والسالبين أجرة الأجير والأرملة واليتيم (٣: ١-٦).

سادساً: ضرورة الأمانة في الوكالة:

١- سرقة الله تقود إلى اللعنة (٣: ٧-٩).

٢- العشور تقود إلى البركة (٣: ١٠-١٢).

سابعاً: تساؤل عن مجازاة البار والجواب هو في يوم القضاء العظيم (٢: ١٣ -٤ : ٣).

ثامناً: خاتمة أسفار الأنبياء الاثني عشر: مجيء إيليا (٤: ٤-٦)، يوحنا المعمدان الشبيه له في الروح والقوة (قارن مت ١١ : ١٤، ١٧ : ١٣ ، مرقس ٩ : ١١ -١٣ ، لوقا ١ : ١٧).

الكاتب وزمن الكتابة

يمثل السفر وحدة كاملة وبيد كاتب واحد. وبالنسبة لبعض الباحثين النقديين من الصعب الاعتقاد بأن ما جاء في

(٢: ١١-١٦) كتبه النبي ملاخي لأنها لا تتفق مع ما ورد في عـددي (٩، ١٧) وإن لم تكن إضافة مؤخرة بواسطة كاتب آخر فهي في غير مـوضعهـا . كما أن الثلاثة أعداد الأخيرة من الأصحاح الرابع تعد إضافة مؤخرة أيضاً. وقد رفض هذا الرأي من علماء الكتـاب لافتـقاده الدليل العلمي. ولا يعرف شيء عن ملاخي كـاتب السفـر وربما ترجع تسميته بملاخي/ملاكي أو رسولي إلى إيمان والديه. وجاء في التقليد اليهودي أن ملاخي كان عضواً بالسنهدريم وكان لاوياً من زبولون وهذا غير مؤكد . وقد كتب السفر في ظروف إعـادة بناء الهيكل بعد السبي البابلي حيث كـان عزرا مسئولاً عن تعليم الشريعة لليهود (عزرا ٧: ١٠ ، ١٤، ٢٥ - ٢٦).

ويرجع تاريخ كتابة السفر ما بين ٤٨٠ - ٤٥٠ ق.م أي قبل تولي نحميا الحكم على اليهود في أورشليم بجيل كامل. إذا كان يتولى الحكم عليها والياً فارسياً(١ : ٨) وصار نحميا والياً على أورشليم عام ٤٤٤ ق.م لأول مرة وللمرة الثانية عام ٤٣٣ ق.م كما يرى العلماء. وقد أشار نحميا إلى حالة اليهود وضعفهم الروحي، وعدم اكتراثهم بالعبادة في الهيكل، بعد أن تم بناؤه، والذي هو موضوع سفر ملاخي (قارن نحميا ١٣: ١٠-٢٩ مع ملاخي ١:٦ - ١٠، ٢: ١٠-١٦، ٣ : ٨-١٢) .

والسفر بوجه عام يتضمن قضاء، وحكماً على الشرور التي عملها الكهنة والعلمانيون. ويعد رسالة رجاء في الوقت نفسه للبقية الأمينة، المتعلقة بإلهها في إيمان واثق ووطيد.

وملاخي هو المعلم بين الأنبياء وليس الواعظ، وواجبه تعليمي. وفي رأي أحد العلماء أنه النبي الذي له النظرة الثاقبة ورأيه الواضح في المبادئ الروحية التي تحدد نوع الحياة، حياة البر التي يجب أن يحياها الشعب. فهو يعيد التعاليم النبوية، الأولية، رسالة التوبة والإصلاح ودينونة البار والشرير(يوم الرب آت). إنه أيضاً النبي الذي يرى بوضوح الأساس الذي تنبع بل تنفجر منه كل ينابيع سعادة الإنسان بالرضى والقبول لدى الرب إلهه، وأسباب الضعف التي استولت على الشعب وأظلمت حياتهم. وعلى الشعب أن يعود إلى الله (٣ : ٧) : «ارجعوا إليّ أرجع إليكم».

الخلفية التاريخية

ساد الفشل المرير عصر ما بعد السبي والذي انطبع على حياة إسرائيل، وبدا للكثيرين من المكرسين أن نهاية الأسر البابلي كان وعداً، وأن العصر المسياني المجيد قد قرُب. وعلى الإنسان أن يقرأ فقط نبوات إشعياء (٤٩ : ٨-٢٦) ليلمس التفاؤل الرائع والعظيم، الذي نبع من السماح بإعادة تأسيس حياة قومية يهودية كريمة ومتميزة في فلسطين. وكانت الأمة في طريق الشفاء من زوال مجدها الذي كان لها أيام داود الملك في البر والقوة (إرميا ٢٣ : ٥-٦) والأرض ستصير مثمرة بوسيلة معجزية والمطر لا ينقطع (حزقيال ٣٤ : ٢٦- ٣٠ ، إش ٤١: ١٨ -١٩) ويتضاعف عدد السكان حتى تمتلئ الأرض (إش ٤٩ : ٢٢ ، ٢٣).

غير أن الحقيقة لم تكن كذلك حسبما كانوا ينتظرون. إذ عادت مجموعة صغيرة من الشعب إلى أرض يهوذا. كما لم تكن الحياة سهلة عليهم واستقر الذين عادوا من الشعب في مدينة أورشليم، وفي مناطق صغيرة مجاورة وهي أرض صخرية غير مثمرة. كما وعانوا الكثير جداً في إعادة بناء الهيكل، وفي أوقات عديدة ومتفرقة لم يكن مطر ، وساد الكساد وعم القحط البلاد، وانتشر الجوع (حجي ١: ١٠ -١١ وملاخي ٣: ١٠) وسنة تلو السنة والأحلام لم تتحقق . حتى الذين حاولوا أن يكونوا مخلصين لديانة آبائهم بدأوا يتساءلون - لماذا؟ «وما المنفعة من أننا حفظنا شعائر الرب، وأننا سلكنا قدام رب الجنود» (٣: ١٤) «وأين إله العدل؟» (٢: ١٧) وما هي علامة محبته لنا؟ (١: ٢).

كما تأثر الكهنة القادة الروحيون والمعينون من قبل الرب، بهذا الروح الكئيب الذي استشرى في الشعب إذ ضعفت عزيمتهم في الحفاظ على أخلاق الأمة، والتسامي بها روحياً. فأهملوا التعاليم الدينية القديمة حسب شريعة موسى عبد الرب (٢ : ٧ -٨).

وسفر ملاخي يعد انعكاساً لهذه الخلفية، التي يجب أن يتفهمها الإنسان، والتي تعد تحدياً لإنسان العصر الحديث. ويضع أحد علماء الكتاب عنواناً لسفر ملاخي «رسالة لعصر يسود فيه الفشل».

رسالة السفر

في ضوء هذه الخلفية جاء ملاخي، الرجل الذي تمتع بقوة روحية عظيمة. وإزاء شعوره بعظمة هذه المسئولية، شعر بحتمية الذهاب إلى الخلاء وإلى السوق، وفي زوايا الشوارع. ليعلن عن إيمانه بالحق، بل ليعلن الحق ذاته لشعب تميز بأسلوب الحوار للوصول إلى الحقيقة، معبراً عنها بأجلى بيان أمام معضلات التساؤل والحيرة. معلناً عدل الله ومحبته.

في ذات الوقت، لم يكن سهلاً على ملاخي النبي أن يخاطب شعبه بالقول «هكذا قال الرب». وقد استولى عليهم الروح العقلاني والجدل المنطقي كما يبدو، ولم تكن رسالته بوحي مفاجئ، بل كانت بمثابة مطرقة لتلمذة حقيقية لكل الشعب.

ويتساءل الشعب قائلاً : إذا كان الله يحبنا فلماذا لا يظهر ذلك؟ وإذا كان الله باراً ، وطيباً، فلماذا لا يمتعنا بخيراته الوفيرة؟ وعن هذا يقدم ملاخي أجوبته كما سنرى.

إن الأوقات الصعبة والظروف المؤلمة يمكن إسنادها لعصيان الناس وعدم الامتثال والخضوع للرب الإله، وإهمالهم خدمة الرب فاديهم(٢ : ١٧، ٣ :٧ -١٢، ١ : ٦ - ٢ : ٩) وتلك إجابة قديمة مستقيمة وبسيطة لسؤال صعب.

الأمر الذي يثير كل المتاعب والحيرة في جواب أصدقاء أيوب الثلاثة (قارن أيضاً مزمور ٣٧) فيثير المشكلة أكثر من أن يجد لها حلاً. لأن الأصدقاء لم يفطنوا إلى ألم أيوب كان امتحاناً، أظهر به الله إيمان أيوب لجميع من حوله إذ لم ينسب لله حماقة(أيوب ٤٢ : ١-٨) بل خرج من الامتحان ظافراً منتصراً بنعمة الله.

أما سفر ملاخي فيؤكد أن الألم هو نتيجة الخطية، والمعانة ثمرة لها، وبمحوها تنهمر الأمطار بغزارة فائقة (٣ : ١٠).

ومن الجانب سينال أدوم عقابه، لما أظهره من رضى وشماتة لسقوط أورشليم بواسطة البابليين ٥٨٧ ق.م (مزمور ١٣٧: ٧) وسوف ينالون عقابهم للخيانة والتمرد (١: ٢-٥) ويوم الرب قريب، فيه يظهر بر الله وعدله الكاملين، لكل الذين اتقوا الرب، وللمفتكرين في اسمه. كما هو مسجل في سفر التذكرة «ويكونون لي قال رب الجنود في اليوم الذي أنا صانع خاصة وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمه» (٣ : ١٦ -١٨).

أحببتكم قال الرب

وقلتم بم احببتنا...(١: ٢)

رسالة المحبة: هي الرسالة الروحية التعليمية المهمة في السفر بجملته «أحببتكم قال الرب» وطبيعة وجوهر محبة الله لا تسقط ولا تفشل أبداً. كما لا تفقد قوة فاعليتها، لفداء عالم غير مستحق. فهي أقوى من كل القوات . إنها محبة رحيمة ملؤها الأناة والعطف. وهي نفسها التي تأتي وتحل بقوة للقضاء على الشر، وتمحوه بالتمام. فالدينونة الإلهية العادلة من أجل صلاح الكيان البشري عامة. إنها محبة مقتدرة ظافرة، تقضي على كل من يتصدى للعمل ويعرقل السير قدام العلى في البر وقداسة الحق بعونه وقوته.

أحببتكم قال الرب .. ويجيب الشعب قائلاً بم أحببتنا: ..جواب فظ ومقابلة مؤلمة تجاه عطف ومحبة الله، هذا العطف الذي تجسد في أجلى بيان طوال السنين الماضية. إنه الإله القدير الذي أخرجهم من بيت العبودية، من يد فرعون ملك مصر وهو الله الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان، للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل (تث

٧ : ١٠ -١١) فإذا كانت وعود الرب لهم (إش ٥٤ :١- ٧ ، وحجي ٢: ٦-٩) لم تتحقق، فهي من جراء شرورهم ورجاستهم.

ورغم أن عيسو أخ ليعقوب بل هما توأمان إلا أن الرب في مشيئته اختار يعقوب وأعطاه فرصته وترك عيسو (تك ٢٥ : ٢١ - ٢٦) وإذا كانت الأحوال في إسرائيل مقبضة، فعليها أن تراجع وتفحص نفسها، لترى كم هي عظيمة محبة الله لها. فهو لم يهلكها إلى التمام، كما في مأساة شعب أدوم (عيسو) (٢ : ٣-٥) لقد دمرت أدوم بواسطة الشعوب المجاورة مصر وعمون كما ذكر يوسيفوس (آثار ١٠: ٩، ٧ [١]، ارميا ٤٩ : ١٨).

لقد فقد شعب إسرائيل بهجته ونجاحه لأنه بدلاً من أن يفكر في هبات الرب له، استولى عليه الفكر في ما فقده وأخذ منه وفيما أصابهم. ولم يعترفوا بحسنات الله لهم الظاهرة في حياتهم.

إن وقوع الإنسان في الشر هو مسئولية هذا الإنسان. ومحبة الرب ليعقوب هي من فضل نعمة الله. (رومية ٩ : ١٣) ومن هو يعقوب.. ومن هو الإنسان حتى يفتقده (قارن مزمور ١٨).

أين كرامتي .. وأين هيبتي قال لكم رب الجنود «أيها الكهنة المحتقرون اسمي» (١: ٦-٩).

إن محبة الله فائقة الإدراك فأين محبة الناس. بل أين محبة الكهنة القادة المعينين ليعلموا الشعب، ويهذبوهم في طريق الحق، حسب شريعة الرب بيد موسى؟ لقد كانت خطاياهم عظيمة، لأن دعوتهم أعظم ومهمتهم أن يكونوا نموذجاً روحياً للجميع في البر ومخافة الرب.

«الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أباً» إذ دعاهم الرب قائلاً: إسرائيل ابني البكر (هوشع ١١ : ١ قارن خروج ٤ : ٢٢) فأين كرامتي كأب (إرميا ٣ : ١٩) وإن كنت سيداً فأين هيبتي أيها الكهنة المحتقرون اسمي؟ إنهم يدعون الرب سيداً لهم بشفاهم، أما قلبهم فمبتعد بعيداً . عبادتهم سطحية لا عمق فيها البتة (قارن إش ١) وقد استخدم الرسول بولس هذا التشبيه بوضوح كامل في علاقة العبد بالسيد (١كو ٧ : ٢٢) علاقة ملؤها الوقار والتقدير في هيبة كاملة نابعة من المحبة المتبادلة بالنعمة الغنية.

ويستمر الحوار ويسأل الكهنة في عدم إدراك أو مبالاة وقد طمست أذهانهم عن الفهم قائلين «بم احتقرنا اسمك؟» ورغم كل هذه الرجاسات التي يصنعونها أمام الرب (١ : ٧ - ٨ ، ١٣ - ١٤) ورفض الشريعة الإلهية بتقديم المغتصب والأعرج والسقيم (قارن مع تث ١٥ : ٢١ ولاويين ٢٢ : ١٩- ٢٥)... قربه لواليك (الأرضي الفارسي) أفيرضى عليك أو يرفع وجهك قال رب الجنود (٨:١) لا شك أن هذا الحاكم الأرضي يشعر بالمهانة ولا تلقي منه غير البطش. «أليس هذا شراً الذي تصنعونه معي يقول الرب».

والآن (يقول النبي ملاخي) «ترضوا وجه الله فيتراءف علينا» ويتحدث النبي ملاخي هنا عن أهمية تقديم الذبائح والمحرقات، حسب شريعة الرب عن يد موسى كما وردت الإشارة، وخاصة بعد إعادة بناء الهيكل.

إلا أن النبي عاموس وإشعياء تحدثا بإسهاب شديد عن عدم أهمية هذه المحرقات والذبائح (قارن إش ١: ١٠-٢٠، وعاموس ٥: ٢١ -٢٤) لأن الشعب في ذلك الوقت، أهمل حياة البر والطهر قدام إلهه. واعتقد أنه يستطيع أن ينال رضى الله والقبول لديه بتقديم هذه الذبائح والمحرقات. الأمر الذي أغضب الله جداً لأنهم أخطأوا المسار. فكان لابد للأنبياء التصدي لمثل هذا الانحراف الديني حتى يصنع الإنسان ما هو صالح وحق وعادل قدام الرب (ميخا ٦:٦ - ٨).

من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم

وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة. لأن اسمي عظيم بين الأمم (١١:١) أنا ملك عظيم قال رب

(1) Josephus, Antiquities.. 10.9,7

الجنود واسمي عظيم بين الأمم (عدد ١٤).

بهذه الكلمات أراد النبي ملاخي عن فم الرب، أن يعرف الكهنة والشعب بأنه بينما هم ينجسون اسم الرب بأفعالهم وأعمالهم الرديئة هذه. يوجد من يعلي اسم الرب، ويمجده في كل مكان حيث يقرب لاسمه القدوس بخور وتقدمه طاهرة. من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود (عدد ١١) .

إنها محبة إلهية شاملة لكل البشرية

ولعلنا نجد توضيحاً مفصلاً لهذه الكلمات في تعاليم يوحنا المعمدان ورب المجد يسوع المسيح في الأناجيل. حيث يوبخ المعمدان جماعة الفريسيين الذين جاءوا إليه، ليعتمدوا منه لكي يهربوا من الغضب الآتي عليهم قائلاً لهم: «اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم» (مت ٣ : ٩ ، قارن لوقا ١٩ : ٤٠). وفي هذا يقول السيد له المجد: لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تصنع أثماره لأن اسم الرب عظيم بين الأمم (قارن مت ٢١ : ٣٣ -٤٣) ويتحدث إشعياء النبي قائلاً : «ويحضرون كل إخوتكم من كل الأمم تقدمة للرب.. وأتخذ أيضاً منهم كهنة ولاويين قال الرب» وذلك لتهذيب الشعب وتقويه في خوف الرب (إش ٦٦ : ١٩ -٢١) ولتقديم ذبائح ومحرقات مقبولة لديه أي ذبائح روحية يسر الله بها. لأن ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره (مزمور ١٧:٥١).

وقد جاء عن هذه الذبائح المرضية والمقبولة عند الرب في (عب ١٣ : ١٥ - ١٦) ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه، وفعل الخير والتوزيع الذي يسر به الله. ولأجل ذلك يقدم الرسول بطرس توجيهه الهام والحتمي: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١بط ٥:٢) والذبيحة المقدسة والمرضية عند الله هي العبادة العقلية بتجديد الذهن (رومية ١٢ : ١-٢).

أليس أب واحد لكلنا.

إليس إله واحد خلقنا فلم نغدر الرجل بأخيه...

غدر يهوذا وعمل الرجس..

لأن يهوذا قد نجس قدس الرب الذي أحبه، وتزوج بنت إله غريب (٢: ١٠- ١١).

ينبر ملاخي على نقطة هامة وأساسية، في الحياة الدينية المقبولة أمام الله والتي يجب أن يراعيها كل إنسان في خوف الرب وهي الحياة الأسرية المخلصة الأمينة بين الزوج والزوجة. ويتساءل في دهشة «أليس أب واحد لكلنا أليس إله واحد خلقنا» نحن جميعاً أزواج وزوجات لنا أب واحد وإله واحد. فلم الغدر والخيانة . ولم الرجس والنجاسة. لأن يهوذا قد نجس قدس الرب. الرب الذي أحبه وأظهر له لطفاً وتحنناً طوال السنين والأجيال. لقد تعدى العهد ورفض شريعة إلهه التي بحفظها يصبح للرب خاصة من بين جميع الشعوب. لأن له كل الأرض (خروج ١٩ :٥) وكان كلام الرب إليهم قائلاً: «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب... وتكونون قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي» (قارن لاويين ٢٠ : ٢٤ ، ٢٦) «ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ..ودفعهم الرب أمامك فإنك تحرمهم.. ولا تصاهرهم، بنتك لا تعط لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك، لأنه يرد ابنك من ورائي، فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً» (تث ٧ :١-٤، قارن عزرا ٩ :١-٩).

بهذا الاختلاط مع الشعوب الأجنبية وعدم الامتثال لشريعة الرب يؤكد النبي بأن السبب الرئيسي وراء كل الشرور

والآلام التي أصابت شعب الرب أنهم عبدوا آلهة أخرى وتركوا إلههم، الذي أحبهم منذ القديم. ليكونوا له شعباً خاصاً غيوراً، شاهداً أميناً له أمام شعوب الأرض كلها (عزرا ٩:١-٩، قارن إشعياء ٦٠:٢١، أفسس ٢:١٠).

لقد رُفضَت تقدماتهم وصلواتهم وتذللهم، لأنها لم تكن من القلب. وللمرة الثانية يقعون في ذات الفعل وهو الغدر بامرأة العهد كما يشير النبي ملاخي (قارن نح ١٣ : ٢٣ - ٣١).

إن الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك (٢ : ١٤) ما أجل وأرهب هذه الكلمات إن الرب هو الشاهد بين الزوج والزوجة للارتباط الوثيق معاً. فاحذروا، هكذا يخاطب النبي شعبه ولا يغدر أحد بامرأة شبابه (عدد ١٥) (قارن تك ٢:٢٤، مت ١٩:٦، ١كو ٧:١٠).

«لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل وأن يغطي أحد الظلم بثوبه قال رب الجنود، فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا» (٢: ١٦) وأين الهروب من الظلم: ظلم الزوج لزوجته والغدر بها. وهل يمكن له أن يغطي الظلم بثوبه كمن يبسط قليلاً من الثوب والرماد على نيران الشرور المتوهجة. والتي سرعان ما يظهر لهيبها وقسوتها، فاحذروا لروحكم لئلا تغدروا، أين إله العدل؟ يخاطب ملاخي الشعب بحقيقة هامة قائلاً: «لقد أتعبتم الرب بكلامكم. وقلتم بم أتعبناه؟ ويجيبهم النبي: بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسر بهم أو أين إله العدل» (عدد ١٧).

لقد أتعبتم الرب (إش ٤٣ : ٢٤) ولم يعد الرب يريد أن يسمع شكاوي الشعب من الظلم وهو الإله الصالح لأنقياء القلب الذي ليس عنده محاباة (قارن مزمور ٧٣ : ٣ -١٢، مزمور ٣٧).

وأعتقد الشعب أن من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب، وهو يسر بهم فتساءلوا أين إله العدل؟ لماذا نجح الأشرار وازدهروا. فلابد إذا من التدخل الإلهي (٣: ١).

إنه يأتي بغتة السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به، معتقدين أنه سيحقق لهم الانتصارات والغلبة الساحقة على باقي الشعوب ... ومن يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره.

إنه سيأتي كنار الممحص لينقي بني لاوي ويصفيهم كالفضة والذهب، ليكونوا مقبولين لديه وتقدماتهم مرضية للرب كما في أيام القدم.

إنه يأتي بغتة كقاض عادل ضد أورشليم (عاموس ٥: ١٨ -١٩، ٢٠) دون توقع من أحد يكون مهلكاً لغير المؤمنين الأشرار (٢ بط ٣: ٣-٤).

هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي..
ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه..
ملاك العهد الذي تسرون به..
ومن يحتمل يوم مجيئه.. (٣ : ١-٦).

هذه الكلمات تحمل من النور الكثير لجماعة بارة اختلط عليها الأمر. ولم تعد قادرة في لحظات الضعف هذه أن تميز بين الخير والشر وقد بدا لها لا منفعة من عبادة الله، لأن الشرير ينعم والصديق البار يحيا في آلامه، ولا يبدو في الأفق لهذه الجماعة أي أمل أو رجاء للخلاص أو النجاة من هذا الشعور المختلط بقولهم : كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسر بهم أو أين إله العدل ؟ (٢: ١٧).

ملاك الرب... ملاك العهد...

هأنذا أرسل ملاكي... ليعلن الدينونة العادلة ليعاقب الأثيم ويكافئ تقي الرب.

وكلمة ملاكي بمعنى رسولي، وفي رأي العلماء إشارة إلى يوحنا المعمدان (مت ٣:٣ ،١١ : ١٠ ، مرقس ١ : ٢ ، ٣ لوقا ١ : ٦٧ ، ٣ : ٤ ، ٧ : ٢٦ ، ٢٧، يوحنا ١: ٢٣) ويستند ملاخي (٣: ١-٣) على ما ورد في (إش ٤٠ : ٣-٥) ويرى أحد العلماء أن الكلمة رسولي تشير إلى الأنبياء جميعا وإيليا مثلاً لهم (ملاخي ٤: ٥) وقد تحققت هذه النبوة في يوحنا المعمدان أعظم وآخر الأنبياء (مت ١١: ٩-١١) بل أكثر من نبي (لوقا ٧ : ٢٦).

«يأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه»

(حجي ٢ :٧ ، عب ٣ :٢ ، ٥ ، ٦) والذي تطلبونه وتسرون به إذ هو مصدر ابتهاج وسرور. (قارن لوقا٢: ٢٨،٢٥) مع (إش ٦٣:٩) قارن ظهور ملاك الرب لإبراهيم (تك ١٨ : ١-٢ ، ١٧ ، ٣٣) وليعقوب (تك ٣١ : ١١ ، ٤٨ : ١٥ - ١٦) ولموسى في العليقة (خروج ٣ :٢- ٦) وهذه الظهورات بمثابة إعلان كما يرى بعض العلماء عن ظهور الابن الحبيب (خروج ٢٣ : ٢٠ - ٢١ قارن عب ١١ : ٢٦ ، ١٢ : ٢٦)، الذي يأتي بالعدل (مت ٣: ١٠ -١٢، مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦).

ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره لأنه يأتي كنار الممحص ويجلس ممحصاً ومنقياً للفضة. فينقي مطهراً بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقبولين أمام الرب وتقدماتهم مرضية له كما في القديم (٣ : ٢-٤).

وهكذا الرب مع مختاريه أيضاً (أيوب ٢٣ : ١٠، مزمور ٦٦ : ١٠، أم ١٧ : ٣ ، إش ٤٨ : ١٠ ، عب ١٢ : ١٠ ، ١بط ١ :٧)، فهو يجلس ممحصاً في محبة متأنية ولطف وعدل حتى يكونوا حجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح (١بط ٢ : ٥) الذي حسب موسى عاره غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة (عب ١١ : ٢٦، ٢٤ - ٢٥).

ارجعوا إليّ أرجع إليكم (٣: ٧-١٢).

يخاطب النبي ملاخي الشعب عن فم الرب قائلاً: «من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها» ارجعوا إليّ أرجع إليكم» لقد ساروا في خطي آبائهم في العناد وصلابة الرقبة والتصلف فجلبوا على أنفسهم السبي البابلي وها هم اليوم يعاودون الكرة مرة أخرى، فيدعوهم الرب نفسه عن فم النبي «ارجعوا إليّ» في توبة «أرجع إليكم» بالبر والإحسان والمراحم قال رب الجنود.

ثم قال الشعب بماذا نرجع، وكان جواب الرب لهم: أيسلب الإنسان الله فإنكم سلبتموني، وقال الشعب بما سلبناك؟ وكان جواب الرب إليهم: سلبتموني في العشور والتقدمة، هذه العشور والتقدمة لها أهميتها لرعاية اللاويين والكهنة على الخدمة. حتى يتفرغوا للعمل في هيكل الرب، ولا يرتبكوا بأعمال الحياة. بل يتفرغ خدام الرب للخدمة وتهذيب الشعب وتقويمهم، حسب شريعة الرب عن يدي موسى(قارن لاويين ٢٧ : ٣٠ -٣٣ قارن عدد ١٨ : ٢٦ -٢٨ وتث ١٢ : ١٨ -١٩). وكان كلام الرب إلى موسى للشعب: «في آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك فيأتي اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون. لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل» (تث ١٤ : ٢٨ - ٢٩، قارن أيضاً تث ١٤ : ٢٢-٢٧) وبالمثل التقدمة (قارن تث ١٨ : ٤ ، نحميا ١٣ : ١٠ -١٣).

وعندما يصغي الشعب إلى صوت الرب لهم حسب شرائعه وأحكامه. ويظهرون تكريسهم الكامل بطاعة أمينة له، وبحياة مثمرة، سيغدق الرب عليهم بغنى ووفرة إذ يخاطبهم قائلاً: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة» (قارن ٢أخ ٣١: ٢-١٢، ١أخ ٢٦: ٢٠، نح ١٠: ٣٨، ١٣: ١٢،٥) ليكون في بيتي طعام وجربوني بهذا قال رب الجنود إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع (٢أخ ٣١ : ١٠ ، ملاخي ٣ :٧) وأنتهر من أجلكم

الآكل، ولا يعقر لكم الكرم في الحقل، قال رب الجنود (عدد ١١) سيتزل المطر في حينه، المبكر والمتأخر، وتأتي الحقول أثمارها الكروم والتين، والزيتون حيث لا جراد أو قمص أو يرقان (عاموس ٤: ٩ قارن تث ١١ : ١٣ - ١٥).

ويطوبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة قال رب الجنود (٣ : ١٢) فخر الأراضي (دا ٨ : ٩) وتتحقق البركة. «طوباك يا إسرائيل من مثلك يا شعبا منصوراً بالرب ترس عونك وسيف عظمتك فيتذلل لك أعداؤك وأنت تطأ مرتفعاتهم» (تث ٣٣ : ٢٩ ، زك ٨ :١٣).

ما المنفعة من عبادة الرب؟ (٣:١٣–١٥)

أقوالكم اشتدت عليَّ قال الرب ..قلتم عبادة الله باطلة وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره. وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود ... وتطوبون المستكبرين وأيضاً فاعلي الشر بأنهم جربوا الله ونجوا.. إنها أقوال وعبارات قاسية وعنيفة تفيض بكل الشرور (قارن حزقيال ٣٣ : ٢٠) وما المنفعة – هكذا قالوا– من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود– واضح أنهم دخلوا في مساومة مع الله ولعلهم هم الكاسبون، إذ عاشوا حياة سطحية لا عمق فيها البتة وتقوى ظاهرية مرفوضة من قبل الرب، ولم تكن خدمتهم لله نابعة من قلوبهم. بل خدمة نفعية لعلهم يربحون الكثير من ورائها. إنه ذات الخطر الذي نبر عليه النبي إشعياء. إذ كانت أعمالهم خالية من البر. بل بمثابة تعد ورفض لشريعته وأحكامه ويقولون لماذا صمنا ولم تنظر، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ ..(إش ٥٨ : ٣-٨) كلها كلمات تقود إلى التشكيك وزعزعة الإيمان، وفعل كل ما هو غير صالح في عيني الرب. كما أنها كلمات تختلف عن تساؤلات الصديقين التي تحمل في مضمونها شفافية ودخولا نحو مقادس العلي. وليست شكوكاً تقود إلى الضلال، بل تقود إلى مزيد من اليقين الراسخ في الرب (قارن إرميا ١٢: ١-٣ ، حب ١: ١٣).

وإزاء هذه التجاديف وكل قول وتعد «حينئذ كلم متقو الرب كل واحد قريبه والرب أصغى وسمع، وكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب وللمفكرين في اسمه: ويكونون لي قال رب الجنود .. وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمه» (٣ : ١٦ -١٧ ، قارن عب ١٣:٣ ، ١مل ١٩ : ١٨ ، رومية ١١: ٤) (وقد اهتم ملوك فارس بسفر التذكرة تذكار أخبار الأيام لتدوين كل ما هو خاص بالمملكة) (أستير ٦ : ١-٢ قارن أستير ٢: ٢٣ ، دانيال ٧: ١٠، رؤيا ٢٠ :١٢).

فتعودون كما يقول النبي ملاخي تميزون بين الصديق والشرير، وبين من يعبد الله ومن لا يعبده (عدد ١٨ ، مزمور ٥٨ : ١١) ولا يقولون فيما بعد كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسر بهم (ملاخي ٢ :١٧). بل «وسيأتي يوم الرب سريعاً جداً. يوم سخط وضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب على الأئمة الفجار، على الأشرار السحرة والفاسقين، وعلى الحالفين زورا وعلى السالبين أجرة الأجير والأرملة واليتيم ومن يصد الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود» (٣: ١-٦ قارن صفنيا ١: ١٤ -١٨).

فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر، يكونون قشا يحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود. فلا يبقي لهم أصلاً ولا فرعاً (٤: ١) وللأبرار يكون يوم الرب يوم فرح وابتهاج، يوم سرور وتهليل كأب يشفق على ابنه الذي يحبه ويخدمه (٣:٧، قارن ١:٦، ٢: ١٠). ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها فتخرجون وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم (٤: ٢-٣) وبالنسبة للأبرار هنا تشرق (شمس البر) والشفاء في جناحيها. وهذا التعبير كما يرى أحد العلماء مأخوذ من الديانة المصرية القديمة والذي أشير عنه بالأجنحة في ديانة الشرق الأدنى القديم كمصدر للعناية والبركة .

فقط اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب ، والهجوا في كلام الرب كل حين، إذ تجدونه أحلى

من العسل وقطر الشهادة، وفي حفظها ثواب عظيم (٤:٤ ، قارن مزمور ١٩ : ٧-١١، مزمور ١١٩ : ٧٢ ، ١٢٧ ، ١٠٣) وفي كلام الرب أيضاً فرح وابتهاج قلب (إرميا ١٥: ١٦) إنها دعوة أن يتقي الإنسان إلهه بحفظ وصاياه (جامعة ١٢: ١٣ - ١٤).

إن رسالة السفر موجهة لشعب استولى عليه الفشل وكل حيرة وتخبط وعدم وضوح للرؤية أي إنه للموتى روحياً، ليبعث فيهم الرجاء، والنهوض مرة أخرى. لأن روح الله مقتدر في كل إنسان حطمه الفشل...

ولأتقياء الرب الذين يتمسكون به. تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها فيخرجون بكل قوة ويدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامهم (٤ : ٣) «فقط أذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب» (٤:٤) لأنها طريق النور طريق الفجر والخلاص من الظلام من كل وجه (قارن إش ٨ :٢٠) عندئذ يستنير الإنسان ويتهلل بكلمات الترنيمة الخالدة «وجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي. لأن كلمة الرب إلهنا أحلى من العسل وقطر الشهادة.. وفي حفظها ثواب عظيم» (إرميا ١٥:١٦، مزمور ١٩ : ١٠ -١١).